الملتقى الدولي **الدكتورة: نعيمة سعدية**

أستاذ محاضر" أ"

جامعة محمد خيضر_ بسكرة

سيمياء الأهواءورهانات تحديد الدلالة الممكنة

-المصطلح بين سندانالترجمة ومطرقةالتأويل-

توطئة: تحتاج كل دراسة إلى مصطلحات علمية، تكون جزء منها وعنوانا يميزها، ووسيلة تستخدمها لإدراك منطقها ومنطق العالم الذي تنتمي إليه؛ وانطلاقا من حقيقة أنه لا بد لكل بحث من ضبط المجال الذي يدور فيه، والمفاهيم العاملة التي يعتمد عليها، ليتعين بذلك موقعه من الدراسات والاختصاصات المتنوعة والمتداخلة، بحيث يتمكن المتلقي من ضبط المفاتيح التي تسمح له بالولوج في البحث، وهي مفاتيح قائمة على تلك المفاهيم، بطبيعة الحال. وهذه ضرورة ابستيمولوجية منهجية معروفة في كل دراسة، توجب علينا الوقوف عند مكونات المصطلح بكل مرجعياتها، الذي كان له ووفق كل هذه المعطيات والمكونات المعرفية قابلية في تعدد محددات التعريف والممارسة من باحث إلى آخر بل حتى عند الباحث الواحد، ومن ثمة تعددت المصطلحات الدالة على المفهوم الواحد في الدراسات الغربية المؤسسة له، وانعكس الأمر على الدراسات العربية، الذي فتحت الباب على كم هائل من المصطلحات أبسط ما يقال عن معظمها أنها مرتجلة وفردية وتبتعد أشواطا عن الضوابط العلمية.

وفي ضوء هذا الهدف، نطمح بهذه المداخلة إلى التنقيب في الممارسات العلمية المفهومية لمصطلح سيميائي أفضى استعماله إلى فوضى مصطلحية كما حدث لغيره من المصطلحات، والتي تتوجب علينا كباحثين الحدّ من فوضى التداول هذه وضبط مفاهيمنا وتحديد مصطلحاتنا ليتحقق التواصل العلمي بيننا وليستقيم سير البحث في مجتمعنا، ولا يتأتى لنا ذلك إلا إذا وضع المصطلح تحديد مجهر يحدد مكوناته المفهومية، حتى يتم الاستغناء عن محدداته الدخيلة التي أحدثت أضرت بالمصطلح أكثر ممّا نفعته.

والبداية تكون بتحديد لفظ المصطلح الذي هو رمز للمفهوم بحسب إدراكنا له، الأمر الذي يعني أنّ المفاهيم قد وجدت وتشكلت قبل المصطلحات فتسمية" المفهوم يمكن أن تعدّ الخطوة الأولى في تماسكه كمطلب سوسيو-لوجي وكيان قابل للاستعمال[1]؛ فليس المصطلح بقضاياه المختلفة سوى طريقة في تنظيم التجربة العلمية خارج الاكراه الذي يفرضه الاستعمال العادي للغة، لأن المصطلح (Term)وليد المفهوم، فلا يمكن أن يكون إلا سؤالا معرفيا أو وجها لقضية، أي أن انسجام نظرية ما مرتبط بقدرتها على المثول امامنا على شكل لغة صورية، كون "الاصطلاح عملية لغوية ومهنية معا"[2]، وعليه فالإدراك الحقيقي للحقول الثقافية التي تنبثق منها المفاهيم لا يتحقق عبر معرفة الدوال المعزولة، ولن يكون المصطلح وفق هذا التحديد سوى الصيغة المؤدية إلى تحديد هذا المعنى والكشف عن حجمه.

---

[1] مصطفى طاهر الحيادرة، من قضايا المصطلح اللغوي ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2003، الكتاب الأول،ص25.

[2]- صلاح فضل، إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنقل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة اللغة العربية وآدابها، فاس، عدد خاص 4(ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بالعلوم) ، 1988، ص69.

1- سيمياء الأهواء-بين ترجمة المصطلح وتأويل محددات المفهوم-:

سيمياء الأهواء(Sémiotique des passions)مصطلح ذو حمولة معرفية محددة، تركب من كلمتين جزئيتين أساسيتين: سيمياء (Sémiotique) والهوى(passion)، ومن أجل وضع مثل هذا المصطلح المركب تحت مجهر التعريف وتحديد الماهية والمفهوم، كان علينا أن نتحسس بعمق شديد هذا التزاوج المصطلحاتي، الذي يمنـح المصطلح ككل بريقا معرفيا، يستقطب كل من يقرأه أو يتلقاه، ليرمي به في متاهات علم معاصر يدرس الهوى بحسب تمظهريه: البنيوي- التركيبي والمعجمي- الدلالي، وهو السيمياء، وغيرها من خلال النظريات المنتمية إلى التحليل الأدبي، وهي في الأساس نظريات في المعنى، تحاول تحديد السبل المؤدية إلى انتاج الدلالات وتداولها.

وانطلاقا من هذا، كان علينا أن نقف بالوصف والتأسيس والتأصيل لهذا المصطلح لتحديد مفهومه وتشكلاته، وإبراز امتداداته فيما تشابه معه من فروع وتميز عنه من أقسام، وقد يتسنى لنا ذلك بطرح هذا المصطلح المركب من بابيه الطبيعيين: العلم (السيمياءSémiotique) والموضوع (الهوى passion)؛

والبداية الإشارة إلى مصطلح السيمياء*، والذي يعنى بمختلف مفاهيمه ومرجعياتهابالسيرورات التي تقود إلى المعنى وتكشف عنه من خلال ما يخفي وليس فقط عبر ما يكشف ويوضح، لذلك فالمعنى هو امساك بسيرورة لا تحديد لمضمون يوجد خارجها، إنه ليس محايثا للشيء ولا للذات، إنه حصيلة النشاط الانساني في بعده التداولي والمعرفي معا[3]-على حدّ تعريف غريماس-.وهي عند فونتانيالعلم الذي"يدرس الدلالة النصية اعتمادا على أن هذه الدلالة تتوزع على شكل علامات أو سمات، وفق أنظمة معينة، وتقوم منهجية هذا العلم على كشفها وتحديد مسارات تمظهرها في النص"[4]' فليست السيمياء بذلك "سوى تساؤلات تخص الطريقة التي ينتج بها الإنسان سلوكاته، أي معانيه وهي أيضا الطريقة التي يستهلك بها هذه المعاني"[5]؛ فهي دراسة للسلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعاني، وفي غياب قصدية - صريحة أو ضمنية - لا يمكن لهذا السلوك أن يكون دالا، أي مدركا باعتباره يحيل على معنى. إن هذه القصدية هي أساس كل القضايا المعرفية التي عبّرت عن نفسها من خلال مجموعة من المفاهيم الخاصة بالمعنى من حيث الوجود والمادة والسيرورة والتداول.

ولقدساهمت المدرسة الفرنسية السيميائية بزعامة الليتواني الأصل ألجيرداس جوليان غريماس (A-J-Greimas)بفاعلية في انفتاح المنهج السيميائي على علوم شتى، كما عملت أيضا على تجديد النظر إلى التجربة الإنسانية برمتها، وقد سار أتباع غريماس في هذا الاتجاه كجوزيف كور تيس وجون بتيتوكوكوردا وجون كلود كوكي وجاك فونتاني(Jacques Fontanille)، الذي طور بمعية غريماس نظرية من صميم النفس الإنسانية، عرفت في التصور الباريسي بسيمياء الأهواء، وهي منهج مستحدث في

---

* والمثير للعجب أنه إلى حدّ الساعة لاتزال الدراسات النقدية العربية تحفل بعدد لابأس به من المصطلحات التي تحيل إلى هذا المجال، بل حتى في البرامج التعليمية إذ لحدّ الساعة يتداول الطالب المسميات التالية: السيميائيات- علم السيمياء- السيميولوجيا..الخ، بعد كل هذه الأشواط البحثية في تحديد المصطلح، وهو الأمر الذي انعكس على هذا الفرع السيميائي الجديد، فإلى حدّ الساعة سيجد الباحث في هذا المجال تكديس وتراكم في المصطلح السيميائي بلغ حدّ المبالغة المفرطة.

[3]ألجيرداس، ج، غريماس، وجاك فونتاني، سيمياء الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة وتقديم وتعليق سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2010، ص 17.

Et voir- Ducrot Oswald, les mots du discours, éditions de minuit, Paris, 1981, p7

[4]جاك فونتاني، سيمياء المرئي، ترجمة: علي أسعد، دار الحوار، سورية،، ط1، 2003، ص225.

[5] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، ط2010،1، ص18.

دراسة الأهواء، للانتقال من دراسة حالات الأشياء إلى حالات النفس من خلال كتابهما "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس" الصادر سنة 1991؛ خلال العقود الأخيرة أصبح الباحث في مجال السيمياء يولي أهمية لمعنى الهوى/ الشعور أو للحالة النفسية للمتحدث، فإلى جانب أن العامل يعمل فهو يحسّ، و هو في حاجة دائمة لإثبات الوجود في عالمه ليحقق غاية هذا الإثبات، وهي أن يعبر ويبلغ ويدرك المبتغى و يؤثر في الآخر؛ إنها من الأبحاث الحديثة في الدرس السيميائي، والتي تجعل الهوى موضوعا لها يمكن التأسيس عليه، في محاولة لربط حركية العمل بحركية شعورية هووية موازية؛ "فالهوى ليس عارضا أو مضافا أو طارئا يمكن الاستغناء عنه أو التخلص منه، كما يمكن أن نتوهم، "لأنه جزء من كينونة الإنسان وجزء من أحكامه وميولاته وتصنيفاته"[6].

ويؤدي الجسد - بذلك- محفلا توسطيا بين الإحساسيْن الداخلي والخارجي، ويضمن تفاعل الإنسان مع محيطه، ويجسد حركيا مجموع الأهواء التي تنتاب الإنسان أكانت مفرحة أم محزنة، إنه « جسد حسّاس، مدرك فاعل؛ جسد يعبئ كل الأدوار المتفرقة للذات، في تصلب وقفزة ونقل.. جسد نعتبره سدا وتوقفا يقود إلى تجسيد مؤلم أو سعيد للذات»[7]؛ وتتشخص حركة الجسد خطابيا في شكل آثار تلفظية (ما تجسده التجليات الثقافية وإيحاءاتها إن على المستوى الجماعي (اللغة الجماعية) أو الفردي (اللغة الشخصية) والتي يمكن أن تخضع لتقويم أخلاقي لتثمينها (هوى الشجاعة) أو بخسها (هوى البخل)،وتخص الأهواء كينونة الذات لا فعلها، وحتى عندما تعمل الذات الهوية(أي عندما تنتقل من الذات الحالة إلى الذات الفاعلة)،فهي تكون موجهة وفق جهة الكينونة، ولما يضطلع الجسد بالتوسط بين الحالتين(حالة الأشياء وحالة النفس)، فهو يسهم في إحداث نوع من الانسجام بينهما.

وعن سيميائية الأهواء وتجلياتها في الخطاب السردي يقول غريماس: "إن بلورة سيميائيات للأهواء معناه الانحياز إلى تمثيل البعد السردي للخطابات التي يمكن اختصارها فيما يشبه منطقا للفعل، وفي تصور للذات التي ستكون محددة بشكل كلي من خلال فعلها والشروط الضرورية لتحقيقه"[8]، كما أن الحكم الأخلاقي لا ينصب على المشاعر في ذاتها بل يحكم على الفائض الانفعالي الذي يحوِّل هذه المشاعر إلى هوى، والحديث عن الهوى "محاولة لتقليص تلك الفجوة الفاصلة بين المعرفة والحس"[9]؛ وفي نظرية الأهواء، يمكن القول أن البعدان(الانفعالي والمعرفي) ليسا متمفصلين ضمن البعد التداولي، الذي يحدد الجسد، الذي يحدد بدوره الذهن عبر معرفة انعكاسية للذات.

وعليه تمّت صياغة مشروع سيمياء الهوى على نحو مستقل بذاته (أي يتوفر على ميكانيزمةمفاهيمية خاصة به ومنسجمة تقرّ- أساسا- باستقلالية البعد لانفعالي للخطاب، وبالتشييد النسقي للتدلال الاستهوائي la sémiosis du phorique، وبإنجاز نحو يفضي إلى الخطاطة الاستهوائية المعيارية)، لم يحل دون تأكيد مدى تفاعله وتكامله مع النظرية السيميائية للعمل في إطار ما يصطلحان عليه بـ" الوجود السيميائي المتجانس" المرتبط بفعل تحديد الدلالات الممكنة داخل النص، وهي دلالات تتعلق بالتخمين بشكل يهدف إلى الوصول إلى نقطة دلالية بعينها ضمن سيرورة تأويلية محددة بسياق خاص[10]. إن كل ما في العالم يجب أن يخضع إلى السيميائية لينتقل من البعد المادي/ الشيئي إلى ما يشكل جوهره الدلالي النفسي، لأن العالم الذي تحيل عليه العلامات هو عالم متصل بالكائنات والأهواء والرغبات والأحلام وحتى الأشياء،

---

[6] غريماس و فونتاني، المرجع نفسه، ص09.
[7] غريماس و فونتاني، المرجع نفسه، ص368.
[8] غريماس و فونتاني، المرجع نفسه، ص 145.
[9] غريماس و فونتاني، المرجع نفسه، ص 13.
[10] سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل(مدخل لسيميائيات بورس)،المركز الثقافي العربي، المغرب،ط1، 2005،ص169.

إنه" يكبر ويضمحل داخل نسيج الأكوان الدلالية التي تؤسسها هذه النصوص، أي داخل ما يطلق عليه بورس السيميوز"[11]

في كلام المؤلفين دعوة لإخضاع مجمل الانفعالات/أو المشاعر إلى السيميوزية(sémiotisation)فكل شعور سيميوز، وهذا الأخير هو" سيرورة في الوجود والاشتغال وإنتاج الدلالات[12]. وعليه كانت نظرية الأهواء، عموما، ثمرة سنين من العمل المتواصل اضطلعت به الجماعة السميائية-اللسانية (المعروفة بمدرسة باريس) لمراجعة النظرية السيميائية «المعيارية» بالتركيز على ثلاث مجالات تستأثر بالاهتمام وهي: الابستمولوجية والنظرية والتطبيق.

وانتقل مصطلح (Sémiotique des passions)إلى العربية-متداخلا مع المصطلحات الأخرى التي تفاعلت معه، فتعددت واضطربت عمليات ترجمته عند الباحثين، بل وأحيانا عند الباحث الواحد، لأن الترجمة هي السبيل الوحيد، لتلقي مثل هذه العلوم، وهي من يضمن كشف الفكر الإبستيمولوجي لسيمياء الهوى كفرع ألسني جديد، وعلى الرغم من كونها عملية معقدة تعمل على نقل أفكار من لغة إلى أخرى، تساعد على معرفة الآخر؛ فالمترجم هو من يقوم بإعادة بناء نسق العلامات والإشارات؛ لأنه يترجم المصطلح موظفا المعارف والمهارات، ورواسب مكتسبات سابقة، وأحكام معيارية يمليها التهيؤ الإدراكي والمفاهيمي له؛ فالترجمة نشاط إبستمولوجي، وعملية ذهنية وإدراكية معقدة تتطلب ثقافة موسوعية. يقول جورج ستا نير (George Steiner): "إن الترجمة الحقيقية أي تأويل الدلائل اللغوية في لغة ما بواسطة الدلائل اللغوية في لغة أخرى، هي حالة خاصة ومعمقة لعملية التواصل والتلقي في أي فعل لغوي إنساني"[13]، أي أنّ الترجمة الإجرائية للمصطلح من خلال مكوناته المفهومية في نموذجها النسقي هي تحديد العلاقة بين نوعين من المتغيرات يمكن إجمالهما في معادلة التالية: (ص= م)، حيث إن:

ص= المتغير التابع، وهو المصطلح الموضوع لتفسير الظاهرة.

م= المتغير الحر والمستقل، وهي المكونات المتحكمة بالمصطلح الموضوع.

إنّ المصطلح مرتبط بالمفهوم الذي وضع له ارتباطا وثيق الصلة، تقتضي الحالة المثلى أن تكون العلاقة بينهما في الدلالة علاقة أحادية ، فمتى ما ذكر المصطلح المعين تمّ الالتفات إلى معناه من غير لبس، ولا سبيل إلى دلالة المصطلح الواحد على مفاهيم متعددة[14].

فالمترجم –على هذا الأساس- لا يقوم بوضع لفظ في مقابل لفظ دونما استحضار ثقافة اللغتين واختلافهما في كيفية إدراك العالم، إنمّا يكون همّه منصبا على إيجاد المناسبات وإقامة المعادلات، وبخاصة المعجمية-الدلالية منها دون نسيان المكونات الثقافية التي سيطرت على مكوناته الأخرى، لذلكيعرفه فيلبر (Helmut Filbert) "هو تمثيل عقلي للأشياء الفردية، وقد يمثل شيئا واحدا أو مجموعة من الأشياء الفردية التي تتوفر فيها صفات مشتركة"[15]؛ كما أن المسألة مسألة تمثل وإدراك للفكر الأجنبي في

---

[11]سعيد بنكراد، السيميائات والتأويل،ص169.

[12]سعيد بنكراد، السيميائات والتأويل،ص169.

[13]- الجلالي كدية، الترجمة بين التأويل والتلقي، ندوة الترجمة والتأويل، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط، المملكة المغربية، ندوات ومناظرات، رقم 47، 1995، ص52.

[14]- ينظر: صلاح فضل، إشكالية المصطلح الأدبي ص79-81.

[15] Helmut Filbert, Terminological Manual, Paris, 1984,p115.

ثقافتهوبيئته، كما أنّها مسألة تمثل وإدراك أسرارها وسبر أغوارها، لاختيار المناسب اللغوي والموافق الايديولوجي، أي تبحث له عن معادل لغوي دقيق[16].

وفي حال تميز المصطلح بحدّي الجّمع والمنع سيصبح حصنا حصينا لكل دراسة نسب إليها وبالتالي إلى كل علم ومجال احتضن هذه الدراسة، ذلك أن العلاقة بين الدراسة ومصطلحاتها علاقة متينة تتسم بالتفاعل والتناغم والتبادل، وهو ما يؤكده أحد الدارسين بقوله:«أن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد منه عما سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاتها إلا محاور العلم ذاته»[17]، فدلالة المصطلح أي مصطلح محدودة، ترتهن بسياق معرفي مضبوط لا تتعداه، أي أنها مقيدة بحقول المصطلح المعرفية.

كما أنّه إذا ما كان حسّ المترجم اللغوي مرهفا ووعيه الفكري والحضاري عميقا، ومعرفتهبالآداب المختلفة كافية أدرك أنّ المصطلح النقدي ليس مجرد نقل كلمة شاردة، بل هو تأصيل لمفهوم يحتاج إلى اجتهاد موصول في التعريب والتطوير والتجريد، حتى يعثر على مقابله بشكل فعّال، ثمّ يلقي بثمار سعيه إلى بوتقة الضمير الأدبي الجماعي في اقتراح صامت، انتظارا لاقراره أو تعديله[18]؛ ذلك أنّ ترجمة المصطلح إلى العربية لا يمكن أن تتخذّ صيغة نهائية تقف عندها، كون الأمر لا يتعلق بصياغة المصطلح في إطار تغطية نشاط معرفي معين، بل هو أمر خاص باستحضار كل الشروط والظروف الأساسية التي ولّدت هذا المصطلح في ثقافته الغربية ومن ثمّة تلقيه ونقله وتعريبه في ثقافتنا العربية.

إذن، الترجمة عملية ساهمت في نقل مصطلح (Sémiotique des passions)،إلى العربية، والتي تزاوجت في كثير من الأحيان مع عملية التأويل فوجدنا أنفسنا أمام كم هائل من المصطلحات؛ ترجمه سعيد بنكرادإلى سيميائيات الأهواءأو الهووية في ممارسات نقدية أخرى له، و ترجم سيميائية الأهواء في دراسات محمد الدّاهي، و سيميائيات العواطف أو الإحساس في دراسات فريد الزاهي[(19)] - وسيمياء الأهواء- وسيمياء الهوى- وسيمياء العواطف- وسيمياء الإحساس- وسيمياء العاطفة- ودلائلية الأهواء- ودلائلية الهوى- وسيميولوجيا الهوى-وسيميولوجيا الشعور- والسيمياءالهووية- وعلم حالات النفس، وهو مصطلح أقرب إلى علم النفس منه إلى السيمياء، وكذلك نجد الهوويات- والهولوجيا- والهووية، ولنا على الثلاث الأخيرة مآخذ كونها خالفت قواعد وضع المصطلح وقوانين التعريب؛ فحينما ننقل نحن الباحثيالحداثيين العرب المصطلح النقدي الجديد في عزلة عن خلفيته الفكرية والفلسفية، فإنّا بالضرورة سنكون في هذه الحال المضطربة وهذا التعدد في المصطلح غير المبرر، ولا عجب في أن يفرّغ المصطلح من دلالته ويفقد محددات مفهومه كما هو حاصل في المصطلحات الثلاث الأخيرة.

أما الهووية مصطلح عندما تناولته بعض الدراسات يمكن القول، أن في استعماله تجاهل كي لا نقول جهل بعض الباحثين بقواعد وضع المصطلح المسطرة من قبل الهيئات العلمية الرسمية المسؤولة«المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب» واعتماد صاحبه على اجتهاداته الشخصية، دون احتكام لضوابط علمية واحدة وموحدة تساعده على ضبط المصطلح العلمي، والأمر ذاته للمصطلحين الآخرين.

---

[16]- صلاح فضل، إشكالية المصطلح الأدبي ص79.

7- A.J. grimas J ;et J courtes. Dictionnaire sémiotique raisonne de la théorie du langage. Tome 1 ; p247/248/249/250 , ed/hachette université 1979

[18]- صلاح فضل، إشكالية المصطلح الأدبي ص79.

[(19)]فريد الزاهي، النص والجسد والتأويل، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2003، ص43-44.

وهي مصطلحات تسارعت في الدراسات العربية بوساطة أجهزة مفهومية فردية، دعت إليها الحاجة في سبيل "اللحاق بركب الحداثة"، وفي ظلغياب التعامل المجمعي اللغوي الموحدوالمقنع، ذهب كل ناقد يجتهد في النقل والترجمة والتسمية وعلى حدود فهمه (الذي قد يصيب وقد لا يصيب) للدّالّ الأصلي في لغته الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرها وعلى مدى مهارته فيهتدي إلى اللفظ المقابل وينحت لفظا بديلا؛ فطريقة وضع المصطلح باتت فردانية، ونعتقد أنها الطريقة التي تكاد تطغى على أغلب الدراسات النقدية العربية وحتى الممارسات البحثية العلمية الأكاديمية، واللتان تعملانفي غياب عمل مؤسساتي جماعي ممنهج ومدروس، كما هو متبع في المجتمعات الغربية، مما يضفي على هذه الاجتهادات طابع التعدد والاختلاف في المصطلح ومن ثمة في المفاهيم، لدرجة يشعر معها القارئ، وهو يتابع هذا الكم الهائل من الدراسات المنشورة، أن كل باحث أصبح «يشكل» مدرسة نقدية قائمة بذاتها، معزولة كلياً عما يجري حولها في «المدارس» الأخرى على الرغم من اعتمادهم جميعاً على خلفية معرفية غربية واحدة، الأمر الذي أصبح معه التواصل مع هذه النظريات الغربية في لغاتها الأصلية أيسر كثيراً، في بعض الأحيان، من الاطلاع عليها مترجمة للعربية، نظراً للاضطراب الهائل الحاصل في ترجمة مصطلحاتها النقدية؛ فأمام هذا الوضع يروح القارئ أولاً ضحية كثرة الاستعمالات والاختلافات، فترتبك بذلك عملية القراءة، ولا يتحقق بعد ذلك المراد الأكبر، وهو تجديد فكرنا الأدبي ومعرفتنا النقدية، وتطويرهما[20].

على ألا يفهم من كلامنا هذا طبعاً مصادرة حق الباحث الشخصي المشروع في الاجتهاد ووضع المقابل العربي الذي يراه مناسبا للمصطلح الغربي، بقدر ما نريد أن يتقيد كل باحث- في ذلك - بالضوابط العلمية المعروفة، لوضع حد للفوضى العارمة الحالية، وإضفاء مصداقية وفعالية أكثر على هذه الجهود، وهو مالن يتحقق طبعاً إلا باستبدال الأنانيات بالعمل الجماعي المبني على«روح الفريق»[21]في وضع المصطلح وتوظيفه، مع الالتزام باستعمال المقابل العربي الصالحوالسائد، على أن لا يستبعد المصطلح إلا في حالات خاصة محدودة تفرضها الضرورة العلمية، وقد أفضى التشتت المصطلحي بالناقد العربي، وهو يخشى على نصه سوء الفهم إلى تذييل دراساته بجدول للمصطلحات التي استخدمها يضم أصولها الأجنبية ونقولها العربية، وذلك لعلمه أن غيره قد يذهب مذاهب تعريبية أخرى، وأن المسألة خلافية بقدر ما هي اجتهادية، على الرغم من كون "المصطلح تسمية فنية تتوقف على دقتها ووضوحها معرفة الأشياء والظواهر، بسيطها ومركبها، ويرتكز في أساسه على منطلقين هما الوضع والنقل"[22]

2- مصطلح الهوى والانزياحات الدلالية:

ولمّا كانت حياة المصطلح مرهونة برصيده الموجود في الحياة، ارتأينا بحث مكونات المصطلح المختلفة والبداية بالمكوّن المعجمي؛ فلقد كانت الأهواء، باستمرار، محط اهتمام النقاد والأدباء والفلاسفة لكونها تمس جانبا معقدا في دواخل الإنسان وفي علاقته مع العالم والأشياء. ولم يخرج السيميائيون عن هذا.

---

[20]-سعيد يقطين: المصطلح السردي العربي، مجلة نزوى، العدد: 21، السنة : 2000، ص 62.

[21]-الدّاي محمد: تداخل المصطلحات وإشكاليات الأنماط الشعرية العربية الضائعة، مجلة كلية الآداب بفاس، العدد الرابع السنة: 1988، ص: 32.

[22]- صلاح فضل، إشكالية المصطلح الأدبي ص81.

أ.الهوى في المعجم الغربي:يقول الدّاهي:" كلمة الهوى تقابلها في الانجليزية passion vilain وفي الفرنسية passion دون إضافة نعت (الشنيع vilain) ، وتلقي اللّفظتان الفرنسية واللفظة الانجليزية في بعض معانيها مع كلمة الهوى العربية، إذ يقصد بها عاطفة عاتية تستبد بالعقل"[23].

وقد جاء في القاموس الفرنسي لاروس"Larousse " أن معنى كلمة "passion" تعني الرغبة والميل العنيف المحقق للفائدة (أو المنفعة) الفورية للمهتم بموضوع الحديث[24]، وليس كل ميل أو رغبة هوى، وفي العامية الهوى مرتبط بالانفعال الفوري المتولد من لا تفكير أي العاطفي المستبد بالعقل والمنطق، المشحون بالعاطفة الجيّاشة بعيدا عن كل الانفعالات الأخرى، ومنه نقول "لهواوي"، أي لا تكهن في تصرفاته، والذي يميل حيث يميل قلبه بلا تفكيرولا حتى حسبان للعواقب(الهوى الذي يأتي يأخذه).ومنه تقل حظوظ مصطلح الهوى في الاستعمال، وفي احتواء كل مكونات المفهوم لدى أصحابه وفي بيئته الفكرية والمعرفية والثقافية، ومن ثمة العلمية المنهجية.

ولعله على هذا الأساس، اختير مصطلح سيمياء الهوى لـيقابل (Sémiotique des passions) في بعض مكونات المفهوم على الرغم من وجود مصطلح أقرب منه لهذه المكونات وهو سيمياء الشعور لأنه مصطلح قادر على احتواء معظم المكونات التي قصدها غريماس وفونتاني سواء أكانت تعود إلى العقل أم الإحساس أو الانفعال، فما الهوى –في هذه الحال- إلا ما " تصابر النفس على تحمله من الجسد الذي تسكنه (المتحدة به)" [25].

وتطلق كلمة (passion) على " أقوى إحساس/ أو شعور للحب، للكره، للغضب، للحماسة..الخ، ونقول هو إنسان يحس ويشعر، وهي تعتريها حالة هائلة من الشعور والانفعالpassion(considérable)(، ومنه يمكن القول حسّاسpassion)(ate-، وعديم الإحساس (passion-less) ، ونكهة الورود (passion-flower) ، ونكهة الفواكه (passion-fruit)" [26].

و"بيّن أفلاطون في أسطورة الكهف، أن العقل محتاج للهوى لإثبات ذاته، وأبرز أرسطو أن الأهواء تلعب دورا هاما في الكشف عن الاختلافات البشرية وتضعيف الوعي إلى كينونتين تنزعان إلى التوافق أو التعارض، ويقترن الهوى عند سانت أوغست "S.August" بتعذر الخلاص، ويفيد عند ديكارت والفلاسفة المعاصرين تغير وضعية الإنسان بسبب وحدانيته وفردانيته" [27].

ويقول ميشال كارّوج(Michel. Carrouges):"تتبطّن النهج المعرفي في السوريالية كما هو الشأن في السّيمياء، إرادة لتحويل الإنسان والكون، وإعادة الإنسان إلى مكانه الخاص به، باستعادة قدراته الضائعة"[28] وهي إرهاصات أولية لسيمياء الهوى، وذلك من خلال كلامهم عن محاولة تحقيق تحول داخلي بفضل عملية تحول خارجي، وبفعل القران بين الكتابة الآلية والمصادفة الموضوعية، بين أمارات الرؤيا والتمجيد الآتي للإنسان.

---

[23] محمد الدّاهي، المرجع نفسه ، ص 70.

[24]_ Larousse ; Dictionnaire de français_60000mots définitions et exemples ;présente édition ; France ; 2008 ; p306 ,

[25]- David Hume, réfllexions sur les passions, traduction revue par Corinne Hoogaert, représentation et commentaire de Michel Meyer, le Livre de Poche, 1990,p44.

[26]-Oxford; Dictionary of english ;p925-926 .

[27]محمد الداهي، سيميائية السرد، بحث في الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009، ص 60.

[28] أدونيس، الصوفية والسوريالية، دار ساقي، بيروت، ط3، 2006، ص279.

في حين اعتبرها باسكالpascal"نقيضا اجتماعيا، ينبغي التحكم فيه بواسطة المؤسسات والقوانين، وقبله أعلن أفلاطون أن الطبيعة الإنسانية تحتاج إلى التصرف بالحرية والعقل بدلا من الأهواء التي تهدد النظام الطبيعي؛ فما تؤاخذ عليه الانفعالات ليس انتفاء النظام أو انتفاء الطبيعة والصحة، بل انتفاء التحيين[29]، ولكن نشير إلى أنّ منطق الهوى هو منطق الهوية والاختلاف ولذلك يجسِّدُ التوادد عدوى الاستهوائي من خلال مفهومي التواشج والتشابه، فالفرد مجبول على حب ذاته (الأنانية الطبيعية) والتميز عن الآخرين، وهذا ما يجعله يؤثر ذاته وأقاربه على من لا تربطه بهم أية صلة "[30].

ولقد أسعفت دراسة الهوى المضمن في الخطاب على بيان عملية استحضاره الفردي والجماعي سواء أكان على مستوى التحسيس أم التقويم الأخلاقي. وفي هذا المضمار يستند مؤلفا الكتاب على نماذج وترسيمات معيارية (ومن ضمنها أساسا المقطع المكبر الذي يستوعب ما يهم الأزمة الاستهوائية في عدة انفعالية) لبيان مدى انضباط هوى ما لها أو انزياحها عنها (الاشتقاقات الممكنة المترتبة على متغيرات افتراضية) تبعا للأنماط الثلاثية الكبرى التي تُعنى ببناء الأهواء الإيحائية (التكون، ثم التحسيس، ثم التقويم الأخلاقي). وعليه، "قام هيوم بجرد الأهواء وتصنيفها حسب طبيعتها ووظيفتها، وقوتها وضعفها، وعنفها وهدوئها، وجسّد حدّتها ومفعولها من خلال علائق القرابة والصداقة والعداوة والصراع، والوضعية الاجتماعية"[31].

وعلى سيميائيات الأهواء أن تحدّد موقفها من هذه النقطة: والأمر لا يتعلق بالانحياز إلى الرغبات أو الحاجات، إلى الأهواء أو المصالح..بل بتحديد الحد الأدنى الإبستيمولوجي الذي لا يمكن دونه ضمان استقلالية البعد الانفعالي.. وأن كل مشروع علمي لابد أن يندرج ضمن ثقافة وضمن ابستيميّ" [32].

ب.الهوى في المعجم العربي: جاء في لسان العرب " يقول ابن سيده: الهوى العشق يكون في مداخل الخير والشر... وهوى النفس إرادتها والجمع أهواء...وقال اللغويون: " الهوى محبة الانسان الشيء وغَلَبَتْهُ على قلبه..."[33].

ويقول تعالى:" كالذّي استّهوته الشياطين في الأرض حيران "[34]؛ فمن يقرأ الآية سيدرك أن المعنى الغالب هو أنها ذهبت بهواه وعقله، وقيل استّهوته استهامته وحيّرته، وقيل: " زينت الشياطين له هواه حيران في حال حيرته "[35]؛ فكلمة الهوى فيها معنى ارتفاع و معنى الإرادة (القراء)و(الجمع أهواء) ومعنى السرعة، ومعنى الغلبة.

"الهوى بالقصر العشِقُ ، وقال الليث هوى الضمير، وقال الأزهري: هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه، ومن قوله تعالى: (ونهى النّفس عن الهوى)[36]، أي عن شهوتها، وما تدعو إليه من المعاصي،

---

[29]- Herman Perret, Les passions essai sur la mise en discours de la subjectivité, Mardaga, 1996, P13_14.

[30]-voir ; David Hume, Ibid,p20-21 .

[31]-voir ; David Hume, Ibid,p25.

[32] غريماس& فونتاني، سيمياء الأهواء، ص145.

[33] ابن منظور(للعلامة أبي الفصل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري)، دار صادر بيروت، ط1، 1997، المجلد 6، ص 372. (مادة هوى).

[34] الأنعام، الآية 71.

[35] ابن منظور، المرجع نفسه، ص 373.

[36] النازعات، آية 40

ومتى تُكَلِّم بالهوى مطلقا لم يكن إلا مذموما حتى ينعت بما يُخرجُ معناه كقولهم: " هوى حسن، وهوى موافق للصواب، والهوى إرادة النفس، والجمع أهواء ومنه قول أبي ذؤيب:

زجرت لها طير السنيح فإن يكن && هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها"[37]

ويقول ابن القيم الجوزية: " فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسن إن كان خلقا له وملكة سمي صبرا...، وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبُر، فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب فلا يزال التّصبر يتكرر حتّى يصير اصطبارا "[38].

ولقد جعل الجوزية الهوى مرادفا للشهوة التي يجب على المرء محاربتها بالصبر، يقول صل الله عليه وسلم: «العاجز من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني »[39]. ولابن الجوزي كتاب مخصوص في ذم الهوى، فلا يذم الهوى على الاطلاق، وإنّما يذم المفرط منه.

يقول أبو حامد الغزالي: " اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحسّ " [40].

وعن الفرق بين عمل العلماء وعمل الأولياء، يقول الغزالي:" فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم، واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط "[41]. وتعدّ هذه التعريفات مدخلا رئيسا لتحديد مضمون أو المحددات المفهومية للمصطلح؛ كون الهوى ظاهرة يمكن أن تتجسد في صفات يتداولها الناس ويصفون بعضهم بعضا استنادا إلى ممكناتها في الدلالة والتوقع الانفعالي فالبخل والحقد والغيرة وغيرها من الصفات هي كيانات تعيش بيننا تتجسد ضمن التقطيعات الثقافية المخصوصة التي يتحقق داخلها هذا الهوى أو ذلك، لتصبح حدود هذا المفهوم في حد ذاته غير قابلة للحجز والتخطيط.

إن الهوى- بذلك- ليس عارضا أو طارئا، إنه جزء من كينونة الإنسان وجزء من أحكامه وميولاته وتصنيفاته " يرى فيه البعض جنونا يسير ضد العقل "كأمثال كانط، ويعتبره البعض شكلا من أشكال انصياع الروح للجسد، ويعتبره فريق ثالث " حصيلة لفوضى تصيب الحواس وتقود العقل إلى الانهيار والتلاشي، وهذا ما جعل للهوى مكونا اجتماعيا؛ إذ" يحكم اندماج الفرد في النسيج الاجتماعي الذي يطبع على قلبه أحاسيس متنوعة ومختلفة (العدالة والحب والكراهية والكبرياء...) [42]؛ ذلك أنّ منطق الهوى عند الأغنياء والحاكمين يكن في إثبات الذات بالتميز عن الآخرين وبالسيطرة عليهم، ليصبح منطق الأهواء (التشابه والاختلاف) نوعا من المنطق، "البورجوازي الصغير" الذي يقوم على إثبات الذات بمقارنة وضعها مع وضع الآخرين "[43].

---

[37] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق ضاحي عبد الباقي وعبد اللطيف محمد الخطيب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي /المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2001، ج40، ص 326.(مادة هوى).

[38] ابن قيم الجّوزية (شمس الدين أبي عبد الله محمد)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار الامام مالك للكتاب، الجزائر، ط1، 2007، ص 29-31.

[39] الجوزية، نفس المرجع، ص 35.

[40] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تخريج حافظ العراقي، ط1، 1975، ، دار الفكر، سوريا، المجلد الثالث، ج8 ، ص 38، (كتاب شرح عجائب القلب).

[41] أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ص 38.

[42] محمد الدّاهي، المرجع نفسه ، ص 64.

[43] محمد الدّاهي، المرجع نفسه ، ص 65.

لكن هناك فرق بين الهوى باعتباره تجاوزا للحدود، وبين المشاعر التي تشير إلى حالات الاعتدال التي تفرضها الثقافة وتحتكم إليها من أجل قياس حجمها وتصنيفها حسب الكثافة والامتداد، وهذا "ليس مدعاة التعرف على العلامات الدالة على الأهواء بل هو للاهتمام بآثارها المعنوية كما تتحقق في الخطاب"[44].

فالهوى من حيث الطبيعة وممكنات التركيب يعد سلسلة في الحالات الانفعالية التي تتطور خارج البعدين المعرفي والتداولي، ويشكل مسارا آخرا يطلق عليه البعد الانفعالي، فهو محاولة تقليص تلك الفجوة الفاصلة بين "المعرفة" و "الحسّ"، كما أنه ليس الانفعال المرافق للأفعال، إنه" طاقة خاضعة لمفصلة تتم وفق آليات بنيوية مخصوصة"[45]؛ فلا يتحقق له شرط التداول اللغوي إلا إذا خضع لثلاثة معايير رئيسة، أن يكون مسندا إلى المتكلم لا إلى غيره، وأن يكون مصوغا في الزمن الحاضر، وأن يكون بمجرد التلفظ به يقتضي فعلا أي إنجازا.

إن الكون الهووي- بذلك- للفرد يعبر عن خصوصيته، ويجلي " أسطورته الشخصية" فيما يخص تثمين أهواء أو بخسها، لأن الإرادة هي أساس مأساة الإنسان، فعندما تكون الرغبة غير مشبعة ينتج عنها الضجر والازدراء، فيتولد الإحباط والعذاب وهكذا، فعادة ما ترتبط الإرادة باللا.معنى والتناحر، لأن هذه التغييرات في المواقع تقتضي منهجا ممكنا لدراسة العلاقات بين النص والنص المحيط والسياق[46].

والممعن في كلمة الهوى يجدها تثير كلمة أخرى وهي الانفعال، وقد ورد في تاج العروس وفي مادة (فعل):"الفعل أخص من العمل، ولكل فعل انفعال، ويقال لما يقصد الفاعل إلى إيجاده وإن تولد منه"[47].

من خلال هذا التعريف ارتبط الانفعال بالفعل والقصد، وهو الأمر الذي نفاه كل منغريماس وفونتاني في قولهما: "إن الهوى ليس الكلية الانفعالية، إنه أحد أشكال وجودها أي ما يترتب عن انشطار الذات لحظة اصطدامها بالعالم ومن جهة ثانية من خلال أشكال التحقيق هذه، رغبة في العودة إلى هذه الكتلة والانصهار فيها من جديد في وحدة مطلقة[48]، ولا يتحقق ذلك إلا بفعل الاستهواء الذي هو القوة الانفعالية الكامنة التي يستند إليها خطاب الهوى لرسم عوالمه[49]؛ فالاستهواء هو المادة التي تتشكل منها الأهواء، وبدون هذا الاستهواء لا يمكننا الحديث عن الأهواء، كما أن الأخيرة هي وحدها ما يشير إلى وجود مادة سابقة على تحققها الفعلي.

كما يجد متتبع مفهوم الهوى مصطلحا آخرا عرف به، وهو الإحساس، الذي يدل على الوجود؛ "نقول أحسّ:علم ووجد، والإحساس العلم بالحواس، وأحسست أي ظننت ووجدت وأبصرت وعلمت"[50]، والحس هو الصوت الخفي، ومنه فالحس-بدلالته- يمتدّ ليدلّ في ذاته على حيثيات تحليل الهوى وآليات اشتغاله.

أي معالجة كيفية تشخيص الأحاسيس في النص ومدى استيعابها لمقومات جديدة تغني رصيدها الدلالي، ثم التدليل على استقلالية البعد الانفعالي، وتميزه عن البعدين التداولي والمعرفي، عن طريق توظيف مفهوم

---

[44] غريماس، و فونتاني، المرجع نفسه، ص 10.
[45] ألجيرداس، ج، غريماس، وجاك فونتاني، المرجع نفسه ، ص 13.
[46] غريماس وفونتاني، نفسه، ص 149.
[47] الزبيدي، تاج العروس، ج30، ص184-188.
[48] غريماس و فونتاني، المرجع نفسه، ص 28.
[49] ألجيرداس، ج، غريماس، وجاك فونتاني، ص 31.
[50] الزبيدي، تاج العروس، ج15، ص536-537.

التطويع التلفظي، وذلك ببيان دوره في التأثير على المتلقي وبيان المسار الاستهوائي*، والترسيمةالاستهوائية .

في دراسة من هذا القبيل تلجأ السيمياء إلى خلق موضوعها الممكن، ولذلك سعى كل باحث إلى إضفاء المشروعية للمصطلح المختار، يقول فريد الزاهي في ترجمته لقول غريماس وفونتاني:"يقدم الإحساس نفسه بالمرة كشكل للوجود بديهي سابق على كل بصمة وموجود بفضل تحييد كل أشكال العقلانية، فهو حسب البعض يتماهى ومبدأ الحياة نفسه. وإذا نحن وضعنا الهوى فيما وراء انبثاق الدلالة وجعلناه سابقا على كل تمفصل سيميائي في شكل "إحساس" خالص فسيكون الأمر كما لو كنا نمسك بالدرجة الصفر للحيوي، والمظهر الأدنى للوجود"[51]. فمقولة الإحساس تشكل الحد الأدنى الإبستيمولوجي الذي يتم عليه بناء الموضوع السيميائي، الذي "يتلخص في دراسة الآثار الخطابية لعملية الإحساس"[52].

كما نجد مصطلحا آخرا هو "الشعور"، والذي يدل في معناه اللغوي على العقل والمعرفة والإعلام والدراية "شعر به أي عقله، أشعره الأمر أعلمه"[53]؛ فالمعنى لا يدل على ما تقوله الكلمات فحسب، إنه بالإضافة إلى ذلك وجهة نظره أي قصديته وغايته، كون الانفعال طاقة حسية دنيا، وهو ذاته ما أقره الباحثان في هذا الفرع السيميائي[54]. واستنادا إلى هذه الرؤية ، تبحث السيمياء في ذاكرة الهوى،وفي تحقيقاته وفي قدراته على توليد نسخ فرعية هي المدخل الأساس من أجل تحديد حالات الانفعال المعتدل.

إنالهوى شعور يدفع أو ينزع إلى الفعل، ويعد بمثابة أهلية تمكن من الفعل أي ما يسعف على الانتقال من إرادة الفعل إلى القدرة على الفعل. وهكذا يعتبر الكون الاستهوائي امتدادا للكون الجهي. وفي هذا الصدد يبدو من الضروري الاستعانة بتنظيم جهي للكينونة، وإن كان مستقلا عن الفعل المحتمل فهو يعتبر عدة جهية محددة للهوى بصفته أثرا معنويا؛ فهوى الاندفاع يعتبر طريقة في الفعل، ويشمل على « فائض جهي» (يجمع بين إرادة الفعل والقدرة على الفعل (يمكن من توقع الإرادة والقدرة والمرور إلى الفعل)، وفي هذه الحالة تكون الذات منفصلة عن موضوعها (جهة : معرفة عدم الكينونة)، ومتشككة من النجاح في مهمتها(القدرة على عدم الكينونة) ومصرة، في الآن نفسه، على إدراك مبتغاها (إرادة الكينونة)، فعلى الرغم من غياب إرادة الفعل بسبب المعوقات فإن العنيد لا يتخلى عن برنامجه (مشروع الفعل المحتمل)، فالأمر يتعلق بفائض جهي هو الضامن لمواصلة الإنجاز، وحضور هذا الفائض هو ما يفرض علينا صياغة عدّة هووية من خلال حدود تنظيم جيهي للكينونة، لا من خلال حدود الفعل. ومن خلال هذا ، تتضح بعض المفارقات: تخرج « إرادة الفعل» عن « عدم القدرة على الفعل»، وتزداد

*يتطلب هذا التحول في الحالة من قبل الذات المستهوية برنامجا استهوائيا، وهذا يفترض أن يكون العامل الذات محفزا من المرسل، يقنعه فيقتنع بالإنجاز، نسمي هذه العملية تحفيزا أو فعلا للفعل، حيث قام المرسل المحفز(البنوة) بإقناع معنوي للذات(المحب)، ولابد بعد ذلك للعامل الذات المستهوى من تملك الشروط الضرورية لإنجاز الفعل، وفق قيم جيهية مجملة في أربع قيم: وجوب الفعل، والقدرة على الفعل، ومعرفة الفعل، وإرادة الفعل، وتسمى هذه الشروط والقيم الجيهية قدرة، أو كينونة الفعل.

كما أن مقولة الاستهواءphorie هي مقولة مركزية في كل البناء النظري الخاصبالأهواء ودون تحديد موقعها ضمن هذا البناء، فإننا لن نستوعب الأسس التي انبنت عليها السيمياء الخاصة بحالات النفس؛ ذلك أن الاستهواء لا يختلف كثيرا عن المستوى السيميائي السابق عن التجلي الخطابّي في سيمياء الفعل. يتضمن أشكال الوجود المجرّدة للأفعال التي ستتحقق في مستوى سطحيّ تدركه العين بشكل مباشر، إنه بذلك رديف لمقولة "التوترية" و"التوتير" و"المآل" وكل العناصر الدّالة على سيرورة تقود، ضمن مسار توليدي، من المتّصل إلى حالات الانفصال التي تمنح وحدها الهوى فرصة التحقق في نسخة خاصة به.

[51]فريد الزاهي، نفسه، ص44.
[52]فريد الزاهي، المرجع عينه، ص44.
[53] الزبيدي، تاج العروس، ج12، 177.
[54] ينظر: غريماس، وجاك فونتاني، المرجع نفسه ، ص 18

قوة داخل تنظيم جيهي للكينونة. وهو ما يقتضي الافتراض بوجود تركيبين يهم أحدهما التركيب الجيهي للفعل، ويخص ثانيهما التركيب الجيهيالهووي. وفي حال هوى « العناد» تكون « أهلية الفعل» مجرد صورة افتراضية أو تصاورا؛ ذلك « أن العنيد يريد أن يكون، داخل ما سميناه التصاور الهووي للعناد، « ذاك الذي يفعل»، وهو ما لا يعادل «يريد أن يفعل»[55].

و" ينشطر العقل إلى محتويين، وهما الأفكار (العقل) والإحساسات (الأهواء)، وما يميز المرء عن غيره من الكائنات هو ما يتمتع به من رد فعل طبيعي إزاء كل ما هو طبيعي، ومايجعله يستجيب للأحداث التي تؤثر في حساسيته، ويلعب الألم والمتعة دورا كبيرا في دعم الانسجام والتوازن بدلا من القطيعة والعماء. وهكذا يضطلع الهوى بالتنظيم الذاتي الذي يحفز الفرد على استعادة توازنه في الحياة وتحويل إخفاقاته وإحباطاته إلى قوة "[56].

وعليه يتوجب على كل دارس باحث التعامل مع المصطلح كعائد إحالي على الوجدان والطاقة الشعورية التي يملكها وكذلك على البنية الذهنية والتركيبية النفسية وغيرها ذلك، وهذا ما يحتم عليه التعامل مع مصطلح دون مصطلح آخر؛ فمفاهيم مثل: الرغبة، النظام، المجتمع، الوحدة، الفضاء، ..إلخ، هي مفاهيم محكومة في وجودها وأشكال تحققها بمجموعة من المتغيرات التي يعود بعضها إلى الدائرة المفهومية ذاتها ومنها ما يعود إلى المتغيرات الثقافية بتميّزاتها الجغرافية والمناخية والعقائدية ومنها ما هو مرتبط بالأساس اللغوي ذاته، أي ما يتعلق بالوحدات المعجمية ووجهها التركيبي والأمر ليس مختلفا في حالة التسمية والتعريف أيضا.وتتنوع الأهواء فيها كالآتي:

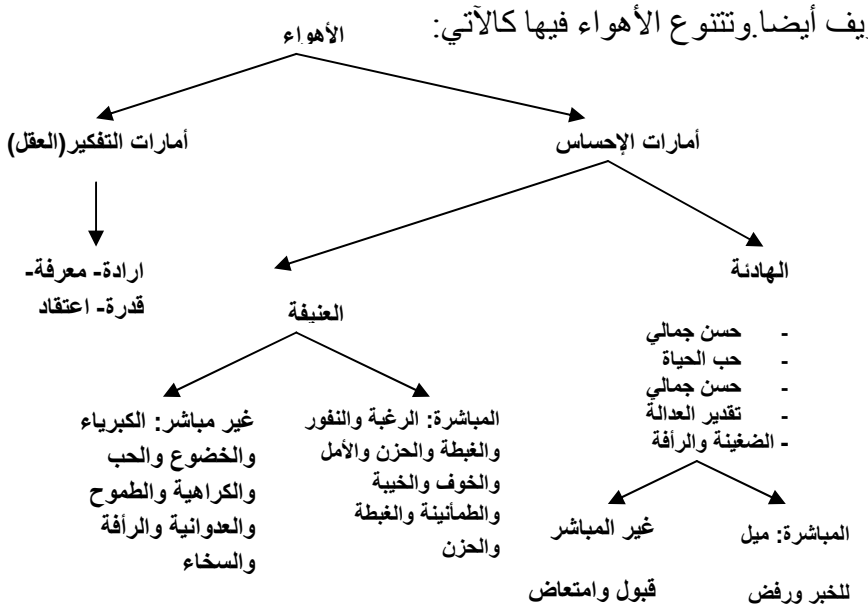

لقد تصوّر غريماس وأتباعه-من خلال هذا التقسيم-إمكانية وصف سيرورة بين أبسط الأشكال الوجودية للقيم وأكثرها تجريدية تقود إلى مستويات تتميز ببعد تشخيصي مرئي ومتحقق في فعل إنساني مدرج ضمن وضعيات تستوعب هذه القيم وتمنحها وجودا مخصوصا ولقد أطلق على هذه السيرورة المسار التوليدي وهذا المسار دال في الوقت ذاته على ترتيب خطي موجه نحو غاية، ويتحقق من خلال خطاطة سردية وعلى دينامية داخلية تحدد النص (الواقعة) باعتبار تفاعل مستوياته لا باعتبار المضامين الدلالية التي يحملها؛ فالبنيات الأولية لا تتحدد من حيث وجهها الحقيقي إلا من خلال تجسدها[57].

---

[55] غريماس وفونتاني، نفسه، ص 116.
[56] محمد الدّاهي، سيميائية السرد، ص 61.
[57] غريماس و فونتاني، المرجع نفسه، ص 25.

ومنه يمكن القول، أن هوى السيميائيات هوى تركيبي دلالي لا يلتفت إلا للممكنات الكامنة التي يمكن أن تتجسد من خلال وجوده الأدنى(أي كما ورد في القواميس)، لذلك فهي لا تكترث لما تقوله الأخلاق إلا من حيث المسارات المحتملة،أي البرامج والعلاقات البيعاملية(inter actant) التي يمكن أن تولدها الإدانة أو التثمين[58]؛ أين يمكن أن يتعالق الهوى والفعل، ولكن هذا يكون دون تجاهل أن هوى الذات يمكن أن يكون حصيلة فعل، إما فعل الذات نفسها وإما فعل ذات أخرى(الانتقال إلى الفعل) عبر عمليات: التحريك-الإغراء-التعذيب-التحري-الإخراج. الخ.

وإذا تمّ تبني مصطلح "سيمياء الشعور" التي في نظرنا تتشكل من نظريات وأكوان شعورية انفعالية تنتظم وفقها ثقافات بأكملها، فتحدد العلاقات بين الإرادة والواجب، والعلاقة بين نظرية الحاجة ونظرية الرغبة، داخل أنساق فلسفية ومعرفية، بمؤثرات البعد التداولي [59]، أي أن سيمياء الشعور تحتفي بالتلفظ، و بتداولية اللغة المعبّر بها، إنه مصطلح يستجيب للضغط الجّمعي ولمتطلبات الحاضر وأن نفس السلسلة تعرف تبدل وتحول مع مرور الزمن.

ويثير هذا المصطلح أسئلة ذات علاقة بتنويع الحاجات الإنسانية وطرق التعبير معها وبلورتها في نسق فكري محدد، لأنه مصطلح ذو كيان ومحمّل بتاريخ ورؤى وأنماط اشتغال وأشكال وجودية يتوجب على كل من يتعامل معها معرفتها وتصورها وفهمها والتفاهم معها وبها حتى يضعها في النسق المعرفي الصحيح، وحتى لا تحدث فوضى عارمة في مجال البحث الموظفة فيه.

وينبغي على السيميائيين إعادة النظر في تنظيم المسار الشعوري التوليدي الذي يمثل حالة افتراضية ونشاطا قيد الانجاز، وأن يعملوا بهذا الصنيع، على تصحيح مكامن الخلل وتعزيز مواطن القوة، حتى تغدو النظرية خطابا منسجما وشاملا، ذلك أن المنطقة الأكثر فاعلية في المسار التوليدي هي الفضاء الوسطي الذي يتموضع بين البنيتين السطحية(المكون الابستمولوجي) والعميقة (المكون الخطابي)، ويهم أساسا النمذجة السردية وتنظيمها العاملي أي ما يميز العامل بفعله وحده (وليس برواسبه النفسية)، وهو الشرط الأساس لتطوير سيميائية العمل، في سبيل الوقوف على بعض "التمفصلات الممكنة بين عالم الشعور وعالم الإدراك الحسي، غير المعروفة بعد في السيمياء معرفة جيدة".[60]

فإذا كان غريماس قد اهتم في تصوراته الأولى بالعام، فبحث في السردية الموجهة لكل الأفعال الإنسانية، التي تشكل البنية العميقة لهذه التجربة أو القدرة الكامنة، فإنه في سيمياء الهوى، اعتمد الخطاب والتجلي، أي التفرد، وهو بذلك انتقل من البحث في العام، إلى الكشف عن المخصوص، وفق سيمياءالتلفظ أو ما أطلق عليها (Sémiotique situationnelle) أي سيمياء المواقف أو سيمياء التفاعل، والتي تهتم بالانتقال من الأمر الذي يجمع إلى المتفرد الكلامي الخاص، الذي يفرق الذوات بعضها عن بعض ويميزه، والتي تضع في الحسبان مشكلة انبثاق المعاني والتسييق(La contextualisation)، أي وضع الظاهرةفي علاقة مع إطار مرجعي من أجل وصفها وتقييمها[61]؛ وذلك في سبيل أن لا نقع في خطأ التأويل النابع من أهوائنا؛ ذلك لأن البحث عن المعنى(أوالتأويل) في التعبيرات الإنسانية الاجتماعية

---

[58] غريماس و فونتاني، المرجع نفسه، ص 11، وينظر من نفس الكتاب ص108.

[59] غريماس& فونتاني، سيمياء الأهواء، ص 144.

[60] جاك فونتاني، سيمياء المرئي، ترجمة: علي أسعد، دار الحوار، سورية،، ط1، 2003، ص219.

[61] ينظر:أ.د.ألكس مكيلي، الوجيز في سيمياء المواقف، ترجمة: وحيدة سعدي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2008، ص11. وما بعدها.

(الكلام_ السلوك_المظهر_الانفعالات_المشاعر_ شبه اللغة...الخ) مصدره الأساس هو الاتصال البين _ثقافي[62]، كونها تراعي السياق اللغوي المعياري والموقف الثقافي الاجتماعي في التحليل.

هذا نموذج فقط لما يمكن أن يكون عليه حال المصطلح عندما ينظر إليه باعتباره دالا لغويا فحسب دون الاهتمام بأصوله المعرفية التي يشكل التأمل فيها البداية الصحيحة نحو استيعاب فكر الآخر واستنباته في تربة جديدة لكي تكون له مردودية حقيقية، فالتلاقح المعرفي بين الحضارات لا يمكن أن يكتفي بنقل الدوال المعزولة عن سياقها الثقافي فيما يهم ليس ما يرى بالعين، وإنما الأهم هو أن نتعلم كيف نرى.

وبداية الرؤية اختيار المصطلح العلمي المناسب، إذ يمارس المصطلح دورا أساسيا وفاعلا في تكوين المعرفة، وفي ذات الوقت يمكن القول أن حقل هذه المعرفة التي يتشكل فيه المصطلح يعمل على توجيه مفهومه وتحديد دلالته.كما بات معروفا "أن المعرفة التي هي خلاصة الممارسات العقلية للإنسان تتشكل ضمن أطر ثقافية وحضارية محددة، وتدخل في علاقة حوار ومثاقفة مع أطر ثقافية وحضارية.."[63]

ليدخل الآخر مؤثرا في إضفاء دلالات أخرى على المصطلح، أو مخلخلا الدلالة القارة له، كما حدث مع هذا المصطلح، ونشير في هذا المقام إلى هيمنة الثقافة الغربية والتي هي مظهر من مظاهر" المركزية الغربية" على آلية عمل المصطلح في الدراسات العربية بل في الثقافة العربية ككل، الأمر الذي يجعلها تزيح كثيرا من دلالاتها التي كانت قد تشكلت على وفقها في الأصل.ونعتقد أنه لا يستقيم صرح أية ثقافة ما لم تفلح في "إنتاج معرفة خصبة وجديدة، توجهها اصطلاحات واضحة الدلالة"[64].

وهذا ما يبعد مظاهر عديدة كاضطراب دلالة المصطلح، وتعارض مفاهيمه، وشيوع الغموض والقلق في التراسل العلمي بين مصادر المعرفة، وجهات التلقي، الأمر الذي يعرض تراكم المعرفة ذاته إلى كثير من الصعاب منها: (عدم استقرار المفاهيم- واضطراب الوصف- والخلل في الاستقراء- والخطأ في الاستنباط واستخراج النتائج...الخ).

واستنادا إلى ذلك، يمكن القول إن القضايا التي يثيرها المصطلح، قضايا لا تخص الدوال اللغوية فقط، بل تعود أساسا إلى الأصول المعرفية الذي تسند المصطلح وتحدد هويته ومردوديته العلمية في تربته القديمة والجديدة على حد سواء؛ ذلك أن كل مصطلح لا يدرك إلا من خلال موقعه داخل تصور نظري يمنحه مشروعية الوجود والاشتغال، وهي حقيقة تضمن وجود خصائص معجمية ومكونات دلالية داخل المصطلح، وهي ذات تفاعل مع ما أحيط بها من مكونات ثقافية و منطقية.

والبداية أيضا أن يكون لدينا - في أقسام الآداب واللغة العربية- اختصاصٌ اسمه (علم المصطلح) يدرس فيهالطالب الأصول المتّبعة في وضع المصطلح، ولا يعمل الباحثون الذين يتخصصون في هذا الحقل إلا في المصطلح، بل والأكثر من ذلك، وضع مادة مستقلة في أقسام اللغة العربية وآدابها تتضمن أبرز المصطلحات التي سوف تواجه الطالب خلال فترة دراسته الجامعية.

ومن منطلق التعامل مع هذا المصطلح، نقول أنّ الترجمة تثير العديد من الإشكاليات المعقدة مثل: إشكالية العلاقة بين اللغات، وعلاقة اللغة والفكر، وإشكالية علاقة الفكر والعالم الخارجي (أو المرجع)..الخ، كونها

---

[62]ينظر:أ.د.ألكس مكيلي، المرجع عينه، ص175.

[63] عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة(تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1999، ص95.

[64] عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية ..، ص96.

نشاط مفاهيمي ومعرفي معقد ومتشابك مع تصورات العالم. كما أنّ مصطلح الحداثة نفسه في تلبسه بمصطلح المعاصرة على الأرضية الفكرية العربية بهشاشتها، هو الذي سيؤدي إلى انهيار صرح المفاهيم التي لم تخرج عن رقعة هذه الهشاشة والتلبس، التي شيدت عليها. ويضعها برمتها أمام مأزقها وحتمية أزمتها،فمشكلتنا الرئيسية تنبع أساسا من استخدامنا لهذه اللغة التي نترجم بها ونترجم منها.

فقلة الأبحاث الجادة المتخصصة تستلزم مصطلحات خاصة يتعين على المترجم اشتقاقها أو توليدها بما تسمح به خصوصيات اللغة العربية وبدقة متناهية تحقق الغاية المرجوة، مع احترام خصوصية مجالات البحث، ففي سيمياء الشعور/ أو الانفعال، بعض المصطلحات خاصة بالسيمياء والبعض الآخر خاص بعلم النفس، ولكل منهما مشكلاته الخاصة؛ ليبدو السؤال الأكثر إلحاحا هو: ما الذي أنجزه أساتذة الجامعات تحديدا ؟ وما هو دورهم في تنشيط الحركة العلمية؟ وما الذي أضافوه إلى ما كان سائدا ؟ وما الإضافة المعرفية والكشف المعرفي التي تشكل حصادا في اللحظة الراهنة ؟ إنّ هذا لهو السؤال الجوهري الذي يستطيع أن يشكل مصدراً لأجوبة مفسرة،في سبيل الحدّمن المصطلحات المتعددة التي تطلق على الظاهرة الواحدة والمفهوم الواحد.

فهل سيحدث النقد الأدبي نقطة نظام وتصالح مع الذات والآخر الذي يمدّه بالمعرفة ويدخل معه في حالات تفاعل، ليحدد سيره الممنهج الدقيق.ومتى سيتخلص النقد المعاصر من الآفات التي تنهش في جسده، وجعلته أسير حالته الراهنة؟

كما أنه لا يوجد اليوم قواعد واحدة ناظمة لوضع المصطلح في اللغة العربية، وإذا وُجدت بعض هذه القواعد التي سعت مجامع اللغة العربية لإرسائها فإن كثيراً من العاملين في حقل المصطلح لا يلتزمون بها؛ إذ هناك ترجمات متعددة للمصطلح الأجنبي الواحد، سببها عدم تنسيق محدد مسبق متفق عليه؛ وهذا يعني أن اللغة العربية تعاني من فوضى النقل، واتساع مجالات الترجمة وتبانها لمّا تزاوجت بفعل التأويل وما أدراك بالإشكاليات التي يطرحها هذا الفعل، فباتت ترجمة الكلمة الواحدة متغيرة من بلد إلى آخر ومن باحث إلى باحث آخر؛ إذ قد يدل المصطلح الواحد على دلالات مختلفة قد تصل حدّ التناقض أحيانا، وذلك حسب انتماء المترجم وانتماء المصطلح إلى هذا التصور النظري أو ذاك، واعتقادنا إزاء ذلك، أن نشاط الهيئات والأُطر التقليدية التي تجتمع دورياً أو بمناسبة لن يجدي نفعاً طالما لم يجتذب نحوه معشر الميدانيين نقاداً ودارسين ومُدرّسين وأهل كفاءة وتخصّص، ولم يشركهم في مناقشة الملف وطرح المسائل والبحث عن البدائل ثم طالما لم تنهض الإدارات السياسية بما عليها.

فمن المشكلات التي يعاني منها المصطلح العربي بعامة والنقدي بخاصة وجود باحثين غير متخصصين يساهمون بوضع المصطلحات ويمارسون استخدامها. وتبرز المشكلة هنا في عدم قدرة هؤلاء على وضع المصطلح الصحيح في صيغته الصحيحة، وسياقه المناسب، لأنهم غير خبيرين به، إلى جانب أن عدم تقديرهم لأهمية المصطلح يدفعهم إلى الاستغراق في إنتاج مصطلحات كثيرة قد لا تكون هناك ضرورة لإنتاجها مما يؤدي إلى الفوضى والتعدد، كون النقد العربي يعتمد أساسا على نظريات نقدية مختلفة وافدة أساسا من الغرب، ومنتجة في عالمنا العربي إما من خلال الترجمة، أو من خلال دراسة نقدية حولها تؤيدها أو تنقضها.

فماذا سيقال إذا أضاف النقد، وإحدى مهامه التفسير، الغموض الى ما هو غامض؟ ولعل السؤال الذي يثار الآن حول ضرورة النقد لم يأت من فراغ، ولعله أثير بعد شيوع تلك الكتابات النقدية التي لا يفهمها الا من كتبها وقلة اخرى تخرج منها دائرة المهتمين بالأدب ودارسيه ممن لا يربطونه بالفلسفات المعاصرة

ويدرسونه مقترنا بها، وكل الأمر يعودإلى اختلاف واضح حول النظم الاصطلاحية في تلك المحاولات، حينا، وغموض وعدم تمكن من فك تلك النظم، حينا آخر مما جعل تلك الجهود صرخات مخنوقة لا صدى لها، وهو ما يمكن توقعه لأية محاولة جادة تنهج المنهج ذاته.

وذلك في الوقت الذي كان النقد العربي مطالباً بتجاوز مراحل الاستيراد والاستلاب والتماهي، إلى مراحل إنتاج مفاهيمه وأدوات إبداعه، وخلق جهازه المصطلحي النابع من رؤيته وتجربته، بعيداً عن التلقف والتلفيق، ذهب في طريق انغلاق أبحاثه على نفسها، وإلى صعوبة استيعابها من قبل المتلقّي الآخر حتى لو كان متخصّصاً، ومن ثم إلى قلّة فائدتها العلمية.

نشير في آخر الأمر، إن أمس ما تحتاجه الثقافة العربية الآن، هو أن تراجع ذاتها ، مراجعة انتقادية، لتخلص إلى تصفية المنظومة الاصطلاحية التي تستعين بها، عسى أركانها أن تأتلف وتكوّن نسيجا معرفيا، تتجانس فيه الفروض، ويتضح فيه المصطلح وتستقر فيه إجراءات المنهج، لتخلص إلى ثقافة تتكافئ فيها الإجراءات بالنتائج؛ لينتهي بذلك الانشطار الحاصل الذي أخذ بشأن المنظومة الاصطلاحية العربية على مستوى النقد العربي، وجرّها في أزمة تتضاعف يوما بعد يوم، ولهي بداية لحدث الموت المرتقب، الممزوج بغصة الخروج من التاريخ الأدبي والمعرفي للإنسانية كطرف فاعل إلى طرف مفعول فيه، يعيش على لحظة الماضي، ويقتات من فتات الآخر.

إنّ الحال العلمية عندنا تشكو من عديد من الأمراض منها: التكديس بدل التنظيم، والجمع بدل البناء، والتقليد عوض الاجتهاد، والفردية بدل الجماعية، والارتجال بدل التخطيط، والفوضى عوض النظام، وغير ذلك من المظاهر المرضية التي تعرقل سير البحث العلمي، والتي ساهمت بشكل فعال في فوضوية البحث على كل المستويات (المصطلح والمنهج والمعلومة..)، وإزاء كل هذا هل سيحدث الدارس أو الباحث العلمي العربي لحظة التصالح مع الذات، ويحقق نقطة نظام بناءة، ليفكر قبل السير في عملية السير ومراحله وكيفية تحققه وآلياته، الأمر الذي يدفعه إلى الاجتهاد والتحكم من المعلومة قبل إصدار الأحكام، أم أننا سنظل سائرين وكفى وحسبنا أننا نسير.